

التربية والمشاكل السلوكية عند الاطفال



المركز الفلسطيني للإرشاد
Palestine Counseling Center

تلعب العلاقات داخل العائلة دوراً كبيراً في تحديد معالم شخصية الأطفال ومستقبلهم الاجتماعي والنفسي. تبدأ العلاقة بالطفل قبل مولده، وحتى قبل تشكله كجنين، فلكل من الأب والأم تصور عن الطفل الذي سيكون والدًا/ة له في المستقبل، ومنذ لحظة الحمل بالطفل يبدأ كل من الأب والأم في تصور هذا الطفل، كيف سيكون، وما هو دورهم كأب أو أم لهذا الطفل. ويكون لهذه الأفكار والتصورات أثراً مهماً وكبيراً في بناء ذات الطفل وشخصيته المستقبلية في مرحلة المراهقة والبلوغ.

إن تربية الأطفال مسؤولية كبيرة بل ويعتقد أحياناً أنها تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل الوالدين، حيث أنها ليست مقالة مكونة من نقاط إذا اتبعها أهل تجز بنجاح. التربية هي عملية مستمرة بشكل يومي، يدخل ضمنها طريقة تعاملنا مع أبنائنا والتواصل معهم، والجو الأسري الذي نوفره لهم والبيئة العامة التي نعيش وإياهم. شخصية الوالدين، خلفيتهم التعليمية والاجتماعية، فهمهم لدورهم كوالدين، وظروفهم الاقتصادية، جميعها عوامل مهمة تؤثر في تربيتهم لأبنائهم وبناتهم.



بعض العوامل المهمة التي تؤثر على التربية:

بعض العوامل المهمة التي تؤثر على التربية:

1. الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأسرة.
2. الخلفية التعليمية للوالدين (ثقافة الوالدين).
3. شخصية كل من الأب والأم أو مقدمي الرعاية. بما في ذلك سلوكياتهم وردود أفعالهم أمام الأطفال.
4. العلاقة بين الأب والأم ومحيطهم الأسري.
5. فهم الأب والأم لدورهم ومسؤولياتهم في عملية التربية، وتقبل الصعوبات التي يفرضها هذا الدور عليهم.
6. العلاقة القديمة لكل من الأب والأم بوالديهم.
7. خبرات الأم والأب في الطفولة، والنماذج التربوية التي رافقتهم في هذه الطفولة.

للأسف يتساءل الكثير من الأهالي عن طرق التربية الأفضل لأبنائهم بعد أن يكونوا قد وصلوا إلى شعور بالعجز أمام سلوكياتهم، أو بعد أن يكونوا قد جربوا طرق وردود فعل عديدة لم تجد بمنفعة. يتساءل البعض فيما إذا كانت سلوكيات أبنائهم طبيعية، ويطلب البعض الآخر الحصول على طريقة أفضل في تعديل السلوك.

يلجأ المختصين/ات قبل الإجابة عن هذه التساؤلات إلى الاستفسار عن السلوكيات المربكة، كم ومتى تتكرر وما هي شدتها.

يرى المختصون/ات أن الطفل يعبر عن أفكاره ومشاعره عن طريق سلوكياته، لذلك فإن فهم المشاعر والأحاسيس التي تقف وراء سلوكه يساعد على التعاطف معه، تقبله وإيجاد الحلول المناسبة للتعامل مع السلوك المرفوض.

سينتظر هذا الكتيب لبعض المشكلات السلوكية التي يواجهها أهل مع أطفالهم محاولين تعريف هذه السلوكيات وما قد تسببها، واقتراح بعض الحلول المناسبة لها.

الكذب

نقصد بالكذب عدم قول الحقيقة أو وصف خاطئ للأشياء على غير حقيقتها، نتيجة الخوف من العواقب أو الحاجة والرغبة إلى عرض الأمور بشكل مغلوطن.

يعتبر الكذب واحد من أشكال النمو الذهني في مرحلة مبكرة، حيث يجرب الأطفال الكذب باعتقاد أن له نتائج سحرية، فالأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة يكتشفون أنه باستطاعة الشخص تغيير الوقائع من خلال الكلمات، لهذا فمن الطبيعي أن يجربوا اللعب بالكلمات واللجوء إلى الكذب في محاولة لتغيير الواقع. علينا أن نفرق ما بين الكذب والخيال، فأطفالنا في سنوات عمرهم الأولى غير قادرين تماماً على التفريق بين الرغبة والواقع أو بين الحقيقة والخيال. كما وأن قاموسهم اللغوي محدود وقد لا يستطيعون التعبير تماماً عما يقصدون، فمثلاً عندما تواجه طفلاً وتسأله من فعل ذلك؟ يقول كذبا أنه ليس الفاعل فهو أحياناً يقصد أنني فعلت لكن ليس عمداً.



كثيراً ما نجد الأطفال يصفون أموراً يتمنون حدوثها كما لو حدثت فعلاً، ومثال على ذلك الطفل الذي يتحدث مع أهله بإسهاب عن التقاء «بالتنين» مثلاً وقدرته على مواجهته بشجاعة. في هذه الحالة لا حاجة طبعاً لأن نصح مفهوم الطفل عن الواقع أو أن نقول له أن ما يقوله خيالياً، بل أن نقرأ القصد من وراء هذه الحكاية، حيث أن طفلنا يريدنا أن نرى شجاعته واستقلالته، وقد يمثل التين مخاوف معينة استطاع الطفل مواجهتها.

أما الكذب هو سلوك يحدث نتيجة قرار موجه من قبل الطفل إما للحصول على حاجة معينة أو من أجل التهرب من مواجهة عاقبة. هناك علاقة وثيقة بين الكذب والخوف، فليجأ الكثير من الأطفال إلى الكذب نتيجة شعورهم بعدم الأمان في العلاقة مع الأهل، حيث تكون العلاقة بنيت على خوف وعدم ثقة. إن الشعور بالأمان في العلاقة مع الأهل يكوّن ثقة وبالتالي صدق في التعامل بين الطفل وذويه. العلاقة غير الآمنة بين الطفل وأهله تعزز سلوك الكذب لديه.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى علاقة غير آمنة بين الطفل وأهله:

١. ردود أفعال عنيفة أو مؤذية من قبل الأهل تجاه سلوكيات الطفل، ومثال على ذلك: حين يخبر الطفل أهله بأنه حصل على علامة منخفضة في امتحان فتكون ردة فعل الأهل عنف أو حرمان شديد، لذا لن يجزئ الطفل في الغالب على إخبار أهله المرة القادمة بالحقيقة، بل سيكذب أو عملياً سيخفي الحقيقة.
٢. توقعات الأهل العالية من الطفل والتي تفوق قدراته أو ميوله، ومثال على ذلك: أن يتوقع من الطفل أن يكون مبدع بالسباحة ولكنه لا يتقن السباحة بصورة تتلاءم مع توقعات الأهل، فتكون ردة فعلهم بوصفه «بالإنسان الغبي والفاشل». وفي المرات القادمة سيبدأ الطفل بالكذب ويصف مواقف تتلاءم مع توقعات أهله حتى يبدون إعجابهم به.
٣. خوف الطفل من فقدان حب الوالدين قد يؤدي إلى الكذب، ومثال على ذلك: الطفل الذي يطلب منه أن يكون مؤدب دائماً وألا يتلفظ بألفاظ سيئة لكي يظهر بالمظهر الملائم للأهل، فعندما يتلفظ بألفاظ نابية يقول له أحد الوالدين أنت لست ابني وأنا لا أحبك، فيبدأ بإنكار ما قاله خوفاً من فقدان حب الأهل، ولأنه يعتقد أن والديه قد يكرهاه لو عرفا الحقيقة.
٤. تربية الطفل بشكل حاد على الامتناع عن الخطأ تماماً يؤدي إلى خوفه من أن يسبب خيبة أمل للأهل، فليجأ إلى الكذب لأنه لم يحصل فعلاً على مساحة كافية للخطأ أو للتعلم من الأخطاء.

السرقه

نقصد بالسرقه امتلاك الطفل لشيء لا يخصه. حال السرقه كحال الكذب، فهي أيضاً أمر يثير فضول الطفل الراغب بالتملك والحصول على الأشياء، أغلب الأطفال إن لم يكن جميعهم يجربون السرقه.

تعتبر السرقه من المشاكل السلوكية السائدة، وعلينا أن ندرك اشتراط تسمية موقف أنه سرقه بأن نكون قد علمنا الطفل سابقاً أنه من الخطأ أخذ شيء دون إذن صاحبه. حوادث السرقه البسيطة شائعة جداً في مرحلة الطفولة المبكرة وتبلغ ذروتها في حوالي عمر ٥-٨ سنوات ثم تبدأ بالتناقص، لأن الضمير بمفهومه البالغ (أي شعور الطفل بالذنب) يبدأ بالنمو في هذا الجيل، حيث يدرك الأطفال بأنهم ليسوا وحدهم في العائلة والمحيط، وأنه لا يمكنهم الحصول على كل الأشياء وإشباع رغباتهم في أسرع



العدوانية



نقصد بالعدوانية لجوء الطفل إلى العنف وتحاييله لتحقيق رغبة تكون في كثير من الأحيان رغبة مشروعة. تعتبر العدوانية طريقة بدائية لمواجهة حالات الإحباط، واستخدام غير مقبول للقوة.

مظاهر السلوك العدواني:

السلوك العدواني هو سلوك يسبب الأذى للآخرين أو للممتلكات كاللجوء إلى العنف الجسدي أو اللفظي أو النفسي أو الجنسي. المشاعر العدوانية قد تتخذ شكل عدوان غير مباشر (مضمن) مثل الحسد، الغيرة والاستياء. كما وهناك العدوان تجاه الذات مثل خدش الأطراف، الحرق والتسبب بالألم للذات.

أسباب العدوانية متعددة ومنها:

- الرغبة في تحقيق هدف. هنا علينا أن نفهم بدايةً أن لكل سلوك وظيفة هامة وهدف يحققه، فأحياناً يكون الهدف ظاهراً (مثل ضرب أخ لأخيه لاسترجاع لعبته)، وأحياناً يكون السلوك غير ظاهر (مثل ضرب أخ لأخيه نتيجة غضبه من أحد والديه)، سبب رئيسي آخر هو الإحباط ويُعرّف على أنه فشل في تحقيق غاية يراد الوصول إليها (مثل الشعور بالإحباط لعدم الحصول على لعبة جميلة يؤدي إلى قيام الطفل بالاعتداء على لعبة أخيه).
- الشعور بالذنب الذي قد يؤدي إلى عدوانية تجاه الذات، بسبب تكوين الطفل مشاعر سلبية تجاه ذاته مثل أن يقوم الطفل بعض نفسه نتيجة سلوك قام به.
- سبب هام آخر هو التقليد كاستخدام الوالدين لأسلوب العقاب العدواني للتعامل مع مشاكل أولادهم، أو أن يكون النمط العدواني هو

وقت وبدون رقيب أو حسيب. يعتبر سلوك السرقة البسيط في حدود الطبيعي إلى سن ما دون العاشرة، ولكن إذا استمر هذا السلوك بعد هذا العمر فهو دليل على وجود مشكلة صعبة بحاجة إلى تدخل علاجي لتفاديها.

السرقة كمشكلة سلوكية عند الأطفال تعتبر من أكثر المشاكل المسببة للقلق والخوف عند الأهل، لأنها تشعرهم أن من حولهم قد يحكمون عليهم من خلال سلوك أبناءهم، فالطفل السارق يشكل بطريقة ما إدانة لأهله. أضف إلى ذلك أن السرقة ترتبط في ذهن الأهل بمفهومها القانوني، حيث تعتبر سلوكاً إجرامياً يؤدي إلى السجن في مرحلة البلوغ، مما قد يزيد تخوف وقلق الأهل من أن تستمر هذه السلوكيات لدى أطفالهم لسن المراهقة.

أسباب السرقة عند الأطفال:

قد يسرق الطفل نتيجة نقص ما في حياته، وبالتالي قد تكون السرقة تعويضاً عن هذا النقص، وقد يتمثل هذا النقص في عدة أشكال من ضمنها نقص الحب، الشعور بقلّة الاهتمام، عدم احترام الوالدين له أو فقدان أحدهما (مثلما يحصل في حالة الوفاة أو الانفصال)، فيلجأ الطفل إلى أخذ شيء مادي للتعويض عن حرمان عاطفي معين.

- وجود نموذج غير سوي في المحيط الاجتماعي للطفل، فهو عادةً يقتدي بمن حوله أو يقلدهم مثل وجود سارقين في المحيط كأحد الوالدين أو الأصدقاء.
 - قد يسرق بعض الأطفال من أجل تدعيم احترام الذات وكي يثبتوا أمام الآخرين صلابتهم أو كفاءتهم، فهم لا يجدون فرصة طبيعية لإثبات قدراتهم بشكل سوي فيلجئون إلى السرقة.
 - قد يسرق الأطفال بسبب بعض الظروف الاقتصادية الصعبة وحاجتهم لبعض الأغراض التي لا تتوفر لهم كالألعاب أو الأكل أو الملابس.
 - قد تكون السرقة علامة على التوتر الداخلي لدى الطفل، مثل الاكتئاب أو الغيرة أو الغضب. وتكمن هنا أهمية فهم سلوك الطفل لأنه يعبر عنه بطريقة الخاصة والتي تختلف عن طرق تعبير البالغين.
- في كل الأحوال يجب أن نتعامل مع هذه الأسباب بشكل منفصل، وأن نجد تفسيراً لسلوك السرقة عند الطفل، فعلاج السبب أفضل من التعامل فقط مع السرقة كجريمة والعقاب عليها، لأن معرفة السبب والتعامل معه سينهي هذا السلوك، ويمكن للأهل من خلال فهمهم لسلوك الطفل أن يتعاملوا مع المشكلة، ولكن في أحيان أخرى يفضل التوجه للأخصائي/ة من أجل طلب الاستشارة.

النمط السائد بالأسرة كضرب الزوج لزوجته أمام الأبناء أو ضرب الأم أو الأب للأبناء أو شتمهم، أو أهانتهم وتحقيرهم.

٤. كبت الأطفال وعدم إشباع رغباتهم، أو عدم إعطائهم شرعية يؤدي إلى لجوءهم للعوانية للتعبير عن الرغبات الممنوعة.

٥. الثقافة التي تمجد العنف « كالسماح للذكور بأن يمارسوا سلطة عنيفة تجاه الإناث، أو ممارسة سلطة عنيفة من الكبار تجاه الصغار».

العناد

نقصد بالعناد التعبير عن الرفض للقيام بعمل ما ولو كان مفيداً، أو الاستمرار في عمل ما وإن كان خاطئاً. ويتميز العناد بالإصرار وعدم التراجع عن السلوك حتى في حالة الإكراه والقسر، فيبقى الطفل محتفظاً برأيه وموقفه ولو داخلياً. إن العناد ظاهرة شائعة لدى الأطفال تؤدي إلى تصادم بين الأطفال أنفسهم أو بينهم وبين البالغين من حولهم. لا يملك الطفل قبل عمر سنتين الاستقلالية الكافية فهو يعتمد على والديه بشكل كبير جداً، لذلك لا تظهر عليه السلوكيات العنادية بشكل واضح فيما عدا بعض الممانعة، ولكن ذلك لا يعد عناد أصلاً لأن العناد موقف وسلوك مبني على الإحساس بالاستقلالية الجزئية من جانب الطفل ونمو تصوراتها الذهنية، فيقوم الطفل بممارسة هذه الاستقلالية بالرفض، الاحتجاج، الممانعة وإبداء الرأي المخالف، وبالرغم من أن



العناد قد يأخذ مكانه عند سن الثالثة إلا أنه قد يلزم بعض الأطفال حتى سن المراهقة. وفي الغالب لا يتم ظهوره بعد سن المراهقة إن لم يظهر قبل ذلك.

العناد أنواعاً ومنه :

عناد التصميم والإرادة: وهو يعتبر نوع محمود يجب تشجيعه ودعمه، ومثال ذلك عندما يحاول الطفل إصلاح لعبته مثلاً وهو يصبر على ذلك مهما منعه الكبار. هذا النوع من العناد فيه تأكيد للذات والرغبات.

العناد كسلوك طفولي (أصغر من سنه): مثل الطفل الذي يصبر على زيارة صديق في وقت غير مناسب أو رغبته بأمر ما يختلف به مع الأهل كلياً. هذا النوع من العناد ناجم عن عدم فهم الطفل للواقع والحدود الممكن وغير الممكن بسبب سنه.

وقد تزيد درجة العناد لدى الطفل فيعاند نفسه لغيظه من أمه فيرفض الطعام وهو جائع، و يرفض لعبة وهو يريدتها وما إلى ذلك. هذه المكابرة تولد صراعاً بين رغبة الطفل في الاستمرار في موقفه وبين اشتياقه لما عرض عليه. وهذا الصراع ينتهي بالتنازل عند محاولة الكبار في حله.

أما عندما يتحول العناد إلى سلوك راسخ وصفة ثابتة في أسلوب تعامل الطفل مع احباطاته، فإن ذلك قد يؤدي إلى اضطراب شديد في السلوك والانفعالات ويسبب مشاكل في علاقته مع الأهل. ينجم هذا النوع من العناد في الغالب عن نمط تربية غير سليم خصوصاً في المراحل الأولى للتربية.

من الجدير بالذكر أن العناد قد يظهر ويختفي تحت ظروف معينة وفي مواقف معينة. فقد يظهر في البيت ويختفي في المدرسة والعكس صحيح. هنا يكون الطفل واعياً ومدركاً لسلوكه العنادي ولكنه يفعل ذلك لتحقيق رغبة أو هدف ما، وحالما يحقق ما يريد فإنه يتخلى عن عناده. وعندما يكون العناد سمة قوية للطفل فإن ذلك قد يكون نواة لاضطراب نفسي وهو ما نسميه اضطراب التحدي المعارض.

ماذا يمكننا أن نفعل تجاه السلوكيات السلبية سابقة الذكر

علينا قبل كل شيء أن نفهم المقصود من سلوكيات أطفالنا، وأن نتحلى بمهارة القدرة على فهم ما يقصدونه من هذه السلوكيات، وأن نكون قادرين على قبول مرحلة الطفولة بما فيها من أخطاء ورغبات. علينا إذاً أن نعرف الفرق بين قدرتنا على الحكم على الأشياء وقدرات أطفالنا على ذلك، فعالم البالغ يختلف عن عالم الطفل، والتربية بهذا المعنى هي صقل عالم الطفل الجامع لخلق عالم البالغ الواقعي.

مهما حاول الأهل تعليم الأفضل لأبنائهم وجعلهم يتقنون السلوكيات السوية وذلك من خلال تعليمهم مثلاً مبادئ الأكل السليم، النظافة الشخصية، احترام الآخر، التثقيف الجنسي، الضبط والحدود وما إلى ذلك - وهي مما لا شك فيه أمور تساعد في تطور صحة نفسية ايجابية للطفل، كما وتطور علاقة صحية مع الأهل بما يشمل روابط صداقة حميمة وثقة

معهم - ولكن حتى «التربية الكاملة المثالية» لن تستطيع أن تمنح بشكل كامل ظهور مخاوف، صعوبات وأزمات لدى الأطفال.

فلا تعني التربية أن تمنع ظهور الأزمات بل أن نساعد في حلها بشكل بناء، لذا لا يمكن أن تتم التربية دون أن يتم تعليم الطفل من خلال أخطائه وصعوباته.

المساعدة من قبل الأهل يجب أن تأخذ بعين الاعتبار مرحلة تطور الطفل النفسية والعقلية، وقدراته على فهم الواقع بما يتناسب وعمره. من واجبنا كأهل مساعدة الطفل على حل مشاكله من خلال تطوير مهاراته في فهم الأخطاء والتعامل مع نتائجها. بكلمات أخرى هذه المشاكل يمكن أن تكون وسيلة تربوية ناجعة إذا ما تم التعامل معها بحكمة وضمن قدرات الطفل على فهمها.

إن التربية الصحيحة لا نستثني الحزم، ولا يعني الحزم استخدام أساليب عنيفة، ولكنه يتجلى أساساً في وضع الحدود وفي استخدام وسائل الثواب والعقاب السليمة عند اقتضاء الحاجة.

توجه تسامحي أكثر من اللازم من قبل الأهل لن يُمكن الطفل من تحمل المسؤولية عن سلوكياته، فإذا لم يواظب الأهل على وضع الحدود والضوابط، كيف لهم أن يتوقعوا أن يتعلم الطفل تطوير حدود وضوابط لسلوكياته؟ وأيضاً توجه صارم أكثر من المعدل المعقول من قبل الأهل سيوصل الطفل

لنتيجة مشابهة، بمعنى انه لن يعلم الطفل تحمل مسؤولية تصرفاته. فإذا شعر الطفل مثلاً أن تصرفات طائشة من قبله تؤدي إلى عقاب شديد أو مذمة صعبة لشخصيته، فالخطوة الأولى التي سيقوم بها هي تبني الإنكار كوسيلة، بمعنى أن الطفل سينكر مسؤوليته عن أي سلوك قام به وهكذا لن يطور إمكانياته الذاتية للتحكم والسيطرة.

إذاً توجه تسامحي أكثر من اللازم أو صارم أكثر من اللازم يشوش لتطور الضمير لدى الطفل ويوصل إلى نفس النتيجة وهي طفل مع تحكم ذاتي منقوص.

أن يشعر الطفل بأنه محبوب من قبل والديه حين يكون سلوكه حسناً وكذلك الأمر حين يقوم بتصرفات «سيئة» يُمكن أكثر من حدوث تغيير في السلوك إذا وجه الأهل ملاحظة لابنهم أما إذا لم تتوفر علاقة حب آمنة بين الطفل والأهل فإن الطفل سيؤمن انه مهما فعل لن يحظى ابداً بحب والديه.

العقاب

يلجأ الكثير من الأهل لاستخدام أسلوب العقاب محاولين تصحيح سلوك أبنائهم، وهنا نود التوضيح أن العقاب هو نوع من الإذانة ورفض سلوك معين قام به الطفل. قد يولد العقاب لدى الطفل مشاعر من السخط أو الخجل أو الندم وعدم الرضا عن النفس، وبالتالي يدفعه للتوقف عن السلوك المرفوض بهدف استبعاد هذه المشاعر السلبية والبحث عن أنماط سلوكية بديلة. ولكن ليصل الطفل للبحث عن أنماط سلوكية بديلة يجب أن يكون العقاب الذي استخدم مبني على:

- فهم نفسية الطفل والظروف المحيطة به.
- أسباب السلوك وليس نتائجه.
- استهداف تعديل السلوك وليس تحطيم شخصية الطفل.



عند استخدام أسلوب العقاب مع الأطفال يجب مراعاة الأمور التالية :

- أن يكون العقاب بعد السلوك غير المرغوب فيه مباشرة.
- أن تجلس الأم أو الأب بحيث تكون بمستوى نظر الطفل عند التحدث إليه عن الخطأ الذي قام به، أو عندما يملي الأهل نوع العقاب الذي سيقع على الطفل، والتفسير له بكلمات بسيطة لماذا قرروا العقاب.
- يجب أن يبدأ الأهل باستخدام العقاب من الأسهل إلى الأصعب وبالتدرج، على سبيل المثال يبدأ الأهل في البداية بأسلوب التحذير والعد حتى الرقم ثلاثة، إذا لم يتوقف الطفل عن السلوك غير المرغوب فيه تقوم الأم بعدها بوضع الطفل في زاوية متخصصة للعقاب في المنزل، بحيث تكون بعيدة عن المثيرات وتكون مدة العقاب دقيقة عن كل سنة من عمر الطفل. بعدها إذا لم يغيّر الطفل سلوكه، أو إذا شعر الوالدين أن خطأ الطفل يحتاج إلى عقاب أقوى تستخدم العقوبات التالية بالتدرج حسب السلوك الذي قام به الطفل:
 - حرمان الطفل من برنامج تلفزيوني يحبه.
 - حرمان الطفل من اللعب على الكومبيوتر في هذا اليوم.
 - حرمان الطفل من جزء من مصروفه في اليوم التالي.
 - حرمان الطفل ليومين أو ثلاثة من ممارسة أمر يحبه.
- الطلب من الطفل أن يقوم بادخار مبلغ يساوي قيمة الشيء الذي قام بكسره أو سرقة على سبيل المثال.
- يجب على الأهل عند استخدام العقاب أن يكونوا ثابتين في عقاب السلوك غير المرغوب به في كل مرة يقوم الطفل بتكراره، إلى أن يتوقف الطفل.

إننا كأخصائين/ات نفسيين/ات نؤمن بتعديل السلوك الشامل، وهذا التعديل لا يتوقف على فرض عقاب على الطفل، بل يمكن الوصول إلى نتائج أفضل في تعديل السلوك في حال انتهاجنا نظام التحفيز أو التشجيع الإيجابي، بمعنى إنزال عقاب عادي على الطفل عند العناد كما وإبداء التشجيع ونمته بصفات ايجابية في حالة كان موقف وتصرف الطفل جيداً، أو إعطاءه جائزة رمزية إذا استطاع التحكم بسلوك غير سوي مثلاً إذا استطاع السيطرة على الظاهرة السرقة لفترة محددة، أو أخذه إلى نزهة اذا شاركنا بالحقيقة بموقف كان صعباً عليه بدل اللجوء إلى الكذب، بهذه الطريقة يحصل توازن وتكافؤ ما بين إنزال العقاب عند حدوث التصرف غير السوي مقابل إعطاء التحفيز والمديح عند حدوث تصرف لائق أو ملاحظة تحسن في سلوك كان سلبياً سابقاً.

العلاج الأسري :

لنحاول الآن أن نفهم ما يمر به الطفل ليس على المستوى الفردي فقط بل على المستوى العائلي. اليوم نحن نؤمن أنه وفي كثير من الأحيان الخل السلوكي لدى أطفالنا يعكس خللاً عاماً في منظومة الأسرة، لذا دون حل أو التغلب على الخل العام في الأسرة لن يستطيع الطفل تبني سلوكيات بديلة متلائمة أكثر مع المتوقع.

كما سبق وذكرنا في المقدمة فإن العلاقات داخل الأسرة تلعب دوراً مهماً في تحديد معالم شخصية الأطفال ومستقبلهم الاجتماعي والنفسي في آن واحد، فإذا اتسمت هذه العلاقات بالود، الحوار والاحترام المتبادل بين جميع أفراد الأسرة، فسيؤثر ذلك بالضرورة على تكوين شخصية متماسكة نفسياً واجتماعياً للطفل في المستقبل، وسيحدث العكس إذا ما كانت الأسرة تعاني من خلل في طبيعة العلاقة بين الأفراد.

تتميز العلاقات في النوع الأخير من العائلات بكثير من الصفات، منها عدم وجود حدود واضحة في التعامل والعلاقة -إما أن تكون الحدود مفقودة وإما أن تكون في غاية الصرامة والسلطوية-، ولعل أهم صفات هذه العائلات أو الأسر هو الحاجة الماسة لوجود طفل/ة تسقط عليه معظم مشاكل الأسرة أو تختاره ليكون «كبش الفداء» أو كما نقولها باللغة العامية «الطفل الشمامسة».

عادةً ما يكون هذا الفرد «الشمامسة» طفلاً أو مراهقاً، ومن الملاحظ أيضاً بأن هذا الفرد لا يكون «كبش الفداء» فقط فيما يتعلق بالأهل، بل نجد في كثير من الأحيان أنه يكون عرضة للانتقادات من قبل معظم أفراد العائلة بما فيهم الأخوة والأخوات، وفي بعض الأحيان يعاني هؤلاء الأطفال أو المراهقين/ات من بعض صعوبات التعلم، أو قد يكون لديهم سمعة زائدة أو سلوكياتهم تختلف عن الأخوة/الأخوات الآخرين، فيصبح من الأسهل إسقاط المشاكل الأسرية عليهم واختيارهم كشمامسة. إن كل ما ذكر ليس شرطاً لأن يحدد الطفل كطفل (عرض)، فقد نجد أن هذا الطفل هو طفلاً عادياً دون صعوبات ولكن حاجات الأهل والمشاكل في العلاقات في داخل الأسرة هي التي تضعه في هذا الوضع الصعب.

يسمى هذا الطفل حسب المصطلحات النفسية «الطفل العرض» أو «عرض العائلة» ونلاحظ أن هذه التسمية قد جاءت لأن هذا الطفل يصبح تعبيراً عن مشاكل العائلة وآليات العلاقة في داخلها، فهو الذي يُحضر الأهل لطلب المساعدة النفسية أو الاستشارة. ومن باب التناقض مع توجه الأهل فإن العلاج النفسي ينظر إلى هذا الطفل على أنه الطفل القوي الذي حمل على كتفيه معظم المشاكل غير الواعية بشكل مباشر في الأسرة.

عادةً ما يكون العلاج في هذه المواقف مركباً لأنه يشمل الأهل من خلال الإرشاد الأسري أو العائلي ولا يقتصر على الطفل فقط. بالعادة يلاحظ أن الأهل ينكرون بأن هنالك مشاكل في الأسرة ويصرّون على أن الطفل هو المشكلة، ويقاومون عملية التغيير التي قد تشمل أنماط علاقتهم وسلوكياتهم.

مبادئ عامة تساعد في تشجيع سلوكيات ايجابية لدى أطفالنا :

- تفهم شعور الطفل إذا تعرض لمحنة.
- جعل الطفل يصف سلوكه من زاويته (من وجهة نظره هو) وعدم إصدار الأحكام بتسرع.
- جعل الطفل يقيم سلوكه بنفسه وفحص قبوله لسلوكه وهل هناك إمكانية للقيام بطرق بديلة.
- الطلب من الطفل أن يعيد النظر بسلوكه، وهنا ينشط عقل الطفل وضميره وتحمله مسؤولية سلوكه.
- تكرار المحادثات مع الطفل عند كل سلوك نراه سلبياً مهماً تكرر وعدم الملل.
- من المهم عند التعامل مع الطفل ألا تأخذ دور العارف بكل شيء لأن عندها تكون أقل إصغاء.
- احترام وتقبل القدرات الموجودة لدى الطفل.
- ملاحظة نقاط القوة الموجودة لدى الطفل والعمل على تطويرها.
- التوجه الايجابي في التعامل مع الطفل يساعده، لأن العنف لا يولد إلا العنف.
- تأمين مصروف منظم ومحدد للطفل يتلاءم مع وضع العائلة المادي واحتياجاته.

مبادئ عامة تساعد في تشجيع سلوكيات ايجابية لدى أطفالنا :

- إن الأطفال يتسمون بالاختلاف أكثر من الكبار، ولذلك لا بد من تقويم كل حالة على حدة، وفهم الأسباب وما عساه قد يكون مساهماً في نشوء السلوك المرفوض.
- تعليم الطفل الأمانة، واحترام خصوصية وأغراض الأخر.
- تنمية علاقة دافئة تتسم بالحب، الحنان، الاهتمام وتفهم احتياجات الطفل والمراحل العمرية التي يمر بها.
- الإشراف المباشر على الطفل وقضاء وقت كاف معه، ومعرفة كيف يقضي وقته، هذا مهم جداً في التعرف على سلوكيات الطفل ومتابعتها



وعلاجها. كن قدوة لطفلك واحترم خصوصية وأغراض الآخرين.

- تعليم الطفل المسؤولية، وتصحيح السلوك غير السوي مباشرة، ودعوته إلى تحمل مسؤولية ما يفعل.
- مناقشة الطفل بخصوص أي سلوك غير مقبول بطريقة مختصرة، واضحة، بسيطة وصادقة وليس على شكل موعظة.
- من المهم دوماً متابعة، مراقبة ودعم الطفل حتى يعالج الموضوع.
- تهيئته بيئة غنية بالمشيرات الثقافية (مسرح، كتب، ألعاب... الخ).
- تشجيع الطفل على السؤال والتجريب.
- أن يكون الوالدان نموذجاً للتعامل، واتخاذ أسلوب الحوار كنهج للتعامل.
- إشعار الطفل بذاته وتقديره، وإكسابه الثقة بالنفس، واحترام شخصية الطفل وممتلكاته.
- عدم مقارنة الطفل بغيره.

بدعم من:



Ford Foundation

المركز الفلسطيني للإرشاد

بيت حنينا: 02-6562272

البلدة القديمة في القدس: 02-6273135

رام الله: 02-2989788 نابلس: 09-2335964

جنين: 04-2504060 عزون: 09-2902462

www.pcc-jer.org

[email:pcc@palnet.com](mailto:pcc@palnet.com)

